نبتدي منين الحكاية

كلّما أنهيت مدوّنة أسبوعيّة، أو حتى قبل انهائها، تأخذني أفكاري نحو المدوّنة القادمة. اعترف أنّ المدوّنة الأسبوعيّة قد أصبحت جُزءًا لا يتجزأ من برنامجي الأسبوعي، وأصبحت التزامًا لا حِلَّ منه. وقد تفاجأت كثيرًا من ردود فعل الناس حيث الذين التقيهم في عملي أو في الشارع أو في مناسبات اجتماعيّة مختلفة ويسألونني عن المدونة القادمة وماذا سيكون موضوعها، كما يقوم البعض بطرح أفكارٍ لمدوّنات مستقبليّة قائلين: "تحدث عن كذا وكذا"، "هذا الموضوع جدير بالتحدث عنه". طبعًا هذا الأمر يُسعدني كثيرًا من جهة ومن جهة أُخرى يحملّني مسؤولية كبيرة عندما أرى تعطش الناس للقراءة بعكس الادعاءات أنّ الناس لا يقرأون. والعكس هو الصحيح، فالناس يقرأون ما هو مناسب لمزاجهم وأفكارهم ولكنهم; في أيامنا هذه، ومع كثرة المشاغل والهموم، يملّون سريعًا: فالبعض يقول لي لماذا لا تتوسع في مناقشة موضوعٍ مهمٍ فأُجيبهم بقول أبي الحسن الماوردي في كتاب "أدب الدنيا والدين" ان "الخِضر" قال لموسى عليهما السلام: "يا

موسى متى كلّمتَ الناس لا تُطِل كلامك لئلا يملّ الناس مقامك، لأن المستمع أسرع إلى الملل من المتكلم!".

فها أنا استعير حكمة "الخضر" عليه السلام، وجعلتها حكمة كتابتي للمدونات حتى لا يملّ الناس من كثرة "اللت والعجن".

نبتدي منين الحكاية...

1. هل نبدأ الحكاية من الطلبات الزائدة والمتزايدة للأسرة والأولاد؟!

الطلبات التي أصبحت تثقل كثيرًا على ميزانية العائلة "دون مراعاة مقدرتنا على تحمّل تبعات هذه المصاريف. فالطلبات تتزايد يومًا بعد يومٍ لتضاف إليها أمورٌ لم نعهدها سابقًا، وأصبحت جزءًا لا يتجزأ من حياتنا اليومية. فالسيارة الجديدة لم تَعُد من الكماليات، والإجازة السنويّة هي ضرورةٌ لا بدٌّ منها للحفاظ على الصحّة النفسيّة للأولاد ولأفراد العائلة. وأصبح التسوّق هو الوسيلة المثلى للتفريغ لدى الزوجة وأفراد العائلة.

2. هل تبدأ الحكاية بالعنف المستشري في مجتمعنا بكافة أطيافه والذي أصبح يهدد مجتمعًا بأكمله.

العنف لا يقتصر على المجتمع العربي، بل هو آفة عالميّة تقض مضاجع كل المهتمين بالأمر بالمجتمع الدولي. لكننا في مجتمعنا الصغير لم نعتاد عليه، فقد كبرت قُرانا ومُدننا، وزاد أفراد الحَمولة لبضعة آلاف ففقدنا السيطرة على أبنائنا وبناتنا. هل مُجتمعنا هو مجتمع عنيف؟!

الجواب، بدون أدنى شك، نعم.

3. هل تبدأ الحكاية بانتشار التدخين الالكتروني بين شبابنا وشاباتنا صغار السن؟!

لقد استغرب البعض انتشار هذه الظاهرة بين الشباب صغار السن، وانتقل استعمالها إلى المدارس بين هؤلاء الشباب، بادّعاء أنّها غير مُضرّة ولا رائحة لها. لماذا تستغربون ذلك ونحن نرى الأراجيل مُنتشرة في بيوتنا وبين زوجاتنا وبناتنا وأبنائنا. فلا يخلو مطعم أو مقهى من هذه الأراجيل التي ينهال عليها شبابنا بشغف ونهم شديدين.

4. هل تبدأ الحكاية بأزمة السّير التي أصبحت كابوسًا يوميًا يُسيطر على حياتنا ويشّوش برامجنا وتحد من حرية تحركاتنا لقضاء احتياجاتنا وأشغالنا. ولا ننسى ظاهرة الشاحنات والباصات التي أصبحت تحتل أرصفتنا وساحاتنا، ضاربة عرض الحائط مشاعرنا وراحتنا في بيوتنا، وسط عدم اهتمام ولا مبالاة السلطات وصمتهم المدوّي. وقد ازدادت هذه الظاهرة لدرجة أننا أصبحنا نفضّل القبوع في بيوتنا حتى لا نفقد مكان وقوف سيارتنا.

5. هل تبدأ الحكاية في اعتزالنا الناس حتى لا نصطدم بأحد "الزعران" واختصارًا منّا للمشاكل. فما أن تخرج من بيتك حتى تُصادف أحدهم يسوق بطريقة شعواء، غير مراعٍ قوانين السير، ومتحديًا كل العرف والتقاليد الاجتماعيّة والأخلاقيّة. فلا أدب ولا أخلاق. أو تصطدم بأحدهم يستمع إلى الموسيقى الهابطة تصدح من سماعات سيارته الضخمة "عمي يا أبو البار".

هل اعتزلنا الناس والأصدقاء حتى لا نسمع مشاكلهم وشكواهم لأنه كل واحد "بكفيه همّه" ، ولا رغبة لنا في سماع مشاكل غيرنا حتى لا تزيد همومنا. هل تقلّص عدد أصدقائنا مع تقدمنا في

العمر ففقدنا الصبر على المجاملات والاستماع إلى الأحاديث التافهة وتبذير الأموال والوقت على هذه الأمور.

6. هل تبدأ الحكاية بأننا فقدنا الصبر والشغف للقيام بالكثير من الأشياء؟

فلا صبر لدينا للانتظار في الدور في الدكّان أو الصيدلية أو صندوق المرضى، وأصبحنا نرغب بالوصول إلى غايتنا بأسرع وقت ودون أي عناء.

لا صبر لدينا للاستماع لأبنائنا وزوجاتنا. لا صبر لدينا للاستماع إلى طلابنا في المدارس. جوابنا دائمًا: "بعدين". وهذه ال"بعدين" لا تأتي أبدًا.

هناك الكثير من الحكايات التي تبدأ وما زالت تبدأ ولا تنتهي أبدًا إلّا بطُرفة لا بدّ منها:

يُحكى أنّ رجلًا مدنيًا التقى رجلًا قرويًا يجرّ حمارًا فأراد أن يختبر ركوب الحمار، كتذكار، لمناسبة زيارته إلى تلك الديار وعرض على القروي استئجار الحمار، لقاء أجرة معيّنة.

فوافق القروي وساعد المدني على اعتلاء ظهر الحمار وأشار عليه ان يركّز نظره بين أذني الحمار، حفظًا لتوازنه وخوفًا عليه من السقوط.

وبما أن المدني كان من أساتذة الرياضيات وله خبرة في معرفة المسافات وتقدير القياسات لذلك استطاع أن يقدّر المسافة بين عينيه وأُذنيّ الحمار بمتر واحد تقريبًا.

وحدث أن انقطع الحبل الذي يشدّ البردعة (سرج الحمار) إلى ظهر الحمار وكانت الطريق تتجه نزولًا، فبدأت البردعة تنحدر صوب رقبة الحمار، فتتقلص المسافة تدريجيًا، بين عيني الرجل المدني وأذني الحمار.

وراح الرجل يعيد تقدير المسافة، قال إنها صارت تسعين سنتيمترًا، ثم ثمانين، ثم ستين... وهلم جرا حتى أو شكت البردعة أن تصل إلى أُذني الحمار. وكان القروي يمشي أمام الحمار، فلم يلتفت ولم يُلاحظ ما كان يحدث وراءه. وعندما بلغت البردعة أُذني الحمار تضايق ونكس رأسه فَسَحَلَ الرجل أمام الحمار، فالتفت القرويّ وسأله:

"ليش نزلت؟ بعدو المشوار ما خِلِص".

قال الرجل: لكن الحمار خِلِص!".

خلص الحمار ولكن الحكاية ما زالت مستمرة.

الله يجيرنا من الجاي.

دمتم بكل الخير

أ.أيمن جبارة